

إشكالية الواقع اللغوي وأثره على الخطاب المنطوق الفصيح في الجزائر

The problem of linguistic reality and its impact on the eloquent

Spoken discourse in Algeria

د/ عماموش كهينة

جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية

kahinamamouche@gamil.com

تاريخ النشر: 2024/01/29

تاريخ القبول: 2022/04/25

تاريخ الاستلام: 2022/04/09

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية في سياق الحديث عن مكانة الخطاب المنطوق الفصيح عند الناطقين الجزائريين في ظل الواقع اللغوي الراهن الذي يتسم بالتعقيد والتركيب، وهيمنة لغة على حساب الأخرى أو إحلال لغة محل لغة أخرى ما أدى الى تراجع اللغة المنطوقة الفصيحة في الوطن العربي بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة، مبرزين أهم العوامل التي ساهمت بشكل كبير في تكوين الوضع اللغوي الراهن، وأثره في الخطاب المنطوق الفصيح؛ نحو العوامل السانية، والعوامل غير اللسانية. لتتوصل الى أن المستوى المثالي لا وجود له في الواقع اللغوي وخاصة الواقع الجزائري، الذي تعتبر فيه اللغة العربية الفصحى اللغة الرسمية. واللغة العامية هي لغة التخاطب اليومي المجسدة أكثر للمنطوق الجزائري، وكونها سريعة الانتقال والتحول اللغوي، مما أنتجت لغة معاصرة مزيجية بين اللغة الفصحى والعامية، أو ما يطلق عليها باللغة الوسطى التي هي شكل من أشكال اللغة اليوم، لأن المتكلم الجزائري بطبعه لا يقتصر أثناء حديثه اليومي على لغة واحدة. بل يسعى إلى توظيف لغات أخرى، وكذا ميله الى التلقائية والسهولة، وعدم التكلف.

الكلمات المفتاحية: الخطاب المنطوق، الفصيح، الوضع اللغوي، العوامل اللسانية، العوامل غير اللسانية. اللغة الوسطى.

Abstract:

This research seeks about the status of Algerian spoken discourse among Algerian speakers in light of the recent linguistic reality which is characterized by complexity and structure, The dominance of one language on the other or the substitution of one language for another led to the decline of the eloquent spoken language in the Arab world in general and in Algeria in particular. This research highlights the most important factors that contributed to the formation of the current spoken language towards lingual factors, and non-lingual factors.

Let us conclude that the ideal situation does not exist in the Algerian linguistic reality, in daily communication. As its fast in transition, it has produced new and current language, which is a mixture colloquial, and classical language, the Algerian speaker is not limited to one language. It seeks to employ ease spontaneity and lack of affection and further use other languages.

Keywords: spoken discourse; eloquent; linguistic situation; linguistic factors; non-linguistic; Factors; middle language.

المقدمة:

إنّ اللّغة ليست شيئا واحدا يمكننا أن نحصره، فهي لا تجري على لفظ واحد أو مستوى واحد، بل هي مستويات وأنواع، واللّغة العربية هي لغة طبيعية يجري عليها ما يجري على اللّغات الأخرى. وبما أن المجتمع الجزائري ناطق باللّغة العربية، وهذه الأخيرة عنصر من مقوماته الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، فهي ممثلة لمجتمع ذا مصالح ومنافع مشتركة ومتبادلة مع المجتمعات الأخرى، مما يؤدي بالاحتكاك الاجتماعي بين الشعوب الناطقة بهذه اللّغات، فيحدث للّغة ما يحدث لاحتكاك الأفراد والشعوب ببعضها، هذا ما يؤثر على اللغة اخذا وعطاء وفق عوامل لسانية وعوامل أخرى ساهمت الى حد بعيد في تغيير الوضع اللغوي الراهن للغة المنطوقة، مما يدفعنا الى تقصي مكانة الخطاب المنطوق الفصيح عند الجزائريين من خلال واقع استعمالهم للغة المنطوقة تحت عنوان: إشكالية الواقع اللغوي وأثره على الخطاب المنطوق الفصيح -في الجزائر-، ويندرج ضمن هذا

العنوان إشكالية جوهرية مفادها: ما موقعية الخطاب المنطوق الفصيح في ظل الواقع اللغوي الراهن؟ وما هي أهم عوامل تكوين الوضع اللغوي الحالي، وما أثرها على الخطاب المنطوق الفصيح؟

الفرضيات: من أهم الفرضيات التي تتعلق بالدراسة نذكر:

- استعمال الفصاحة مقتصر على المكتوب أكثر من المنطوق في أكثر المجالات.
- تعدد مستويات اللغة العربية تفرضه عوامل عدة أهمها درجة الاستعمال والمقام.

أهداف الدراسة: إنّ الأهداف التي نسعى لتحقيقها من خلال هذه الدراسة هي:

- الإحاطة بالواقع اللساني الجزائري في ضوء الجدول القائم بين الفصيح والعامية
- تحديد أهم العوامل التي ساهمت في تكوين الوضع الراهن للغة المنطوقة
- إبراز أهمية استعمال الخطاب المنطوق الفصيح في كل مجالات الحياة.

أولاً. الاحتكاك اللغوي وأثره في اللغة المنطوقة اليومية والرسمية:

1- عوامل تكوين الوضع اللغوي الجديد وأثره على الخطاب المنطوق:

1-1- العوامل اللسانية:

انطلاقاً من أنّ اللغة وضع واستعمال، والوضع هو مجموعة منظمة من الدوال والمدلولات، والاستعمال هو مختلف التأديت لهذا الوضع، فإن اللغة: "... مجموعة منسجمة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة ثم بنى جزئية تندرج فيها وهذا هو الوضع... أما الاستعمال فهو كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب ،...لأن منطق اللسان مستنبط من الواقع...". ذلك لأن اللغة ظاهرة اجتماعية وليست فردية تخضع لعوامل عديدة أهمها المقام، ولهذا فإننا نلاحظ تداخل المستويات في المنطوق، ويظهر ذلك في مزج المتكلم للعامية في المستوى الفصيح أو العكس، أو مزج المتكلم للعامية باللغة الأجنبية الأولى الفرنسية، أو مزج المستوى الفصيح بالفرنسية، وهذا حتى لو كان المتكلم في مقام رسمي، وهذا الذي عبّر عنه الحاج صالح بقوله: "لغة مستويات مختلفة من حيث تأديتها فقد رأينا أن الاستعمال اليومي للغة يختلف -بعفويته وعدم تكلفه- عن الاستعمال المحصور في بعض الحالات (تلك تقتضي نوعاً من الانقباض النفسي والفيزيولوجي)، وأنّ اللغة المنطوقة أكثر عفوية من لغة التحري، وقد انتبه علماء البلاغة قديماً إلى هذا، فقسموا الألفاظ إلى لفظ حوشي وغريب وجزل ومبتدل ووسط بينهما وسخيف وسوقي، فهذه مراتب تمثل أنواع التأدية اللغوية ولكل منها مقام والرابع والخامس (وقد

يلجأ الأديب إلى غيرها عند اقتضاء الحال)، أما مستوى الكلام العفوي فيدخل فيه الرابع حتى الثامن وقد يتكلف المتكلم عنه اقتضاء الحال فيستعمل المراتب الأخرى²، انطلاقاً من هذا التعريف يتجلى لنا أنّ اللّغة المنطوقة أكثر عفوية من اللّغة المكتوبة لهذا نجد تداخلاً على المستوى المنطوق أكثر من المكتوب.

إنّ المتكلم الجزائري لا يقتصر أثناء حديثه اليومي على لغة واحدة، بل يسعى إلى توظيف لغات أخرى، عندما يعجز مزدوج اللّغة في إتمام كلامه، فيلجأ إلى اقتباسات وتداخلات من لغات أخرى قصد التواصل وإقناع مخاطبه، إذ لا توجد لغة يمكن أن تعيش منفصلة تماماً أو في مأمن من الاحتكاك اللغوي، خاصة ما يعرفه عصرنا من ثورة الاتصالات التي حولت العالم إلى قرية صغيرة نتيجة لتقدم تكنولوجيا الاتصال وأساليبه بين الشعوب المختلفة³. وهذا الانتقال من لغة إلى لغة أخرى هو ما يدعى بـ "التداخل اللغوي" الذي هو عبارة عن تأثير متبادل بين لغتين كتداخل العامية في الفصحى، والفصحى في العامية أو تداخل الفرنسية في الفصحى، والفصحى في الفرنسية أو تداخل الأمازيغية في الفصحى أو الفصحى في الأمازيغية، وواقعا اللغوي يعكس هذه اللغات المتعايشة، فاللغة العربية هي اللّغة الرسمية في الجزائر، ودعامة من دعائم الشّخصية الوطنية، فهي أولاً لغة القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ترتبط أساساً بالدين الإسلامي الحنيف كما تعتبر وسيلة التواصل الفكري والثقافي، فهي لغة موجودة منذ القدم فبعدما كانت لغة سليقة سجية تمثل جيلها الفصيح في عصرها الذهبي، أصبحت في الماضي البعيد تدرس في المساجد والزوايا، أما الآن فهي تعلّم في المدارس وفي كل المراحل التعليمية بداية من السنة الأولى ابتدائي إلى غاية التعليم الثانوي وحتى في الجامعات، فهي تشكل لغة معظم التخصصات الأدبية، وتعمل المدرسة على تعليم اللّغة العربية للأجيال مع ترسيخها في عقولهم بشكل جيد قائم على قواعد وقوانين سليمة معنى ومبنى. وتتميز اللّغة العربية بوجود مستويين لها، وهما المستوى الفصيح (اللّغة العربية الفصحى)، والمستوى العامي (اللّغة العربية العامية)، أما اللّغة الأمازيغية فمثلها مثل اللّغة العربية، فهي لغة وطنية في الجزائر، فقد كانت لغة ليست رسمية، لكنها أنيا أصبحت لغة رسمية، وترجع أصولها إلى سكان شمال إفريقيا، حيث تعتبر لغتهم الأم. اللّغة الأمازيغية لغة قائمة بذاتها، وهي ليست لهجة متفرعة عن لغة أخرى بل لها لهجاتها المتفرعة عنها، وهي المنتشرة حالياً في ليبيا، المغرب، والجزائر، وهي ذات استعمال شفوي، فهي لغة منطوقة تمثل الشعب الأمازيغي. ولكن بعد الاعتراف بها في الدستور الجزائري أصبحت لغة مكتوبة بأبجدية تدرس في المدرسة الجزائرية، وهذه اللّهجات المتفرعة عنها يتحدث بها الأمي والمتثقف على حدّ سواء، ويمكن تحديد هذه اللّهجات ومناطقها الجغرافية كما يلي⁴:

- القبائلية في منطقة القبائل الكبرى والصغرى (تيزي وزو، بجاية، البويرة، بومرداس).

- الشاوية في الأوراس، النمامشة، تتركز في باتنة، خنشلة، أم البواقي، سوق أهراس.
- الميزابية في منطقة بني يزقن بغرداية.
- الترقية في الصحراء، وهي لغة التوارث تسمى "تامشاق".
- الشاوية في شرشال وبني صاف.

ونجد أن اللغة الأمازيغية بعد إضافتها إلى المنظومة التربوية، أصبحت منتشرة ومستعملة أكثر، وارتفعت نسبة المتحدثين بها، وهذا لأنها عممت على جميع المدارس وفي كل مراحل التدريس من الأساسي إلى الجامعي، كما نجدها أيضا في الإعلام والصحافة حيث خصصت لها قنوات في التلفزة والإذاعة.

بينما اللغة الأجنبية والمتمثلة في اللغة الفرنسية، فكما نعرف فإن الجزائر تعرضت كغيرها من بلدان المغرب العربي لأحداث سياسية جعلتها تتفاعل وتحتك بدول أجنبية، وكان لهذا الاحتكاك تأثير على الوضع اللغوي السائد فيها، فجاءت اللغة الفرنسية إلى الجزائر مع الاحتلال الفرنسي، وازدادت أهمية رسوخها بعد الاستقلال، ونحن عندما متكلمها، فإننا نضطر إليها من ناحية سيطرتها وتأثيرها على الأشخاص في وسطنا الاجتماعي، فما تزال هذه الظاهرة حاضرة في المجتمع الجزائري، حيث تستعمل كوسيلة التخاطب اليومي من قبل نسبة معتبرة وبطريقة شفوية، كما توظف بشكل محسوس أثناء التداخلات في المجتمعات العامة.

وتعرف اللغة الأجنبية على أنها اللغة التي يتعلمها الطالب تعلمًا رسميًا، وهي تشكل أحد موضوعات مناهج المدرسة، وتختلف السن التي تعلم فيه هذه اللغة باختلاف المجتمعات والفلسفات التربوية والسياسية⁵، وتعدّ اللغة الفرنسية من بين العناصر المشكّلة للخريطة اللغوية الجزائرية، فهي لغة موروثية عن الاستعمار الذي حاول إبقاء الفرنسية لغة رسمية، والقضاء على اللغة العربية، فأصبحت بعد الاستقلال لغة أجنبية أولى، وهذا لكونها تدرس في كل مراحل التعليم، وتبقى أيضا لغة بعض التخصصات في الجامعة الجزائرية، إضافة إلى كونها لغة التواصل والاستعمال في بعض التخصصات في الجامعة الجزائرية، إضافة إلى كونها لغة التواصل والاستعمال في بعض المؤسسات والأسر المثقفة. وتستعمل اللغة الفرنسية في الجزائر على ثلاثة أوجه⁶:

- في التبليغ والاتصال: وهذا يعود إلى الفئة التي تنتمي إلى الجيل القديم، أي الفئة التي عايشت الاستعمار أو إلى فئة الجزائريين الذين تعلموا بالفرنسية، وهذا خلال تخصصهم في مجالات علمية.

-في التعليم: تعتبر لغة ثانية في الجزائر، فاللغة الأولى هي اللغة العربية واللغة الثانية هي الفرنسية، هذه الأخيرة تعلم بداية من السنة الثالثة ابتدائي، ويتعلمها التلاميذ طوال مشوارهم الدراسي، إضافة إلى أنها اللغة المستعملة في تعليم معظم التخصصات العلمية في الجامعة الجزائرية.

-في الإدارة والصحافة: يوجد في الجزائر قناة تلفزيونية وإذاعية ناطقة بالفرنسية، إضافة إلى أن بعض الأفلام التي تبث بهذه اللغة، كما تصدر أغلبية الجرائد بهذه اللغة، وهي المستعملة في الإدارة والمعاملات الاقتصادية.

وعليه، فإنه لا يخلو أي مجتمع من التنوعات الجغرافية التي تفرز حتما التنوعات اللغوية حيث "يؤدي اتساع رقعة استخدام اللغة إلى تفرعها وظهور لهجات محلية مختلفة لكل منطقة من مناطق استعمالها"⁷. بالإضافة إلى التنوعات اللغوية التي يفرزها تنوع المستويات الاجتماعية، أو التدرج الاجتماعي، حيث يمكن تحديد المستوى الطبقي لشخص ما من خلال كلامه، وكذلك تنوع التدرج السني الذي يفرض حتمية التنوع اللغوي، فاللغة وسيلة يتكون بها التفكير و"تتفرد بها جماعة من الجماعات وليس تنوع اللغات إلا دليل على تنوع العقليات"⁸ لأن اللغة التي يتحدث بها الفرد تمثل إحدى المميزات الهامة بالنسبة له، وهكذا يتضح كيف تتأثر اللغة بالمجموعات والفئات التي تعيش في جماعة لغوية، وهذا التأثير يؤدي إلى تشعب اللغة المنطوقة ولغة المحادثة، حيث تفرز مستويات لغوية مختلفة حسب طبقات وفئات اجتماعية، بالإضافة إلى اللهجات المحلية والمختلفة، ومن ثم فاللغة والمجتمع في تغير وتنوع دائم، وهذا التغير كعملية اجتماعية تبرز من خلال التفاعل اللغوي الذي يصاحبه تطور اللغة ونموها وانتشارها، ويترتب عن ذلك التداخل اللغوي في المواقف والمناسبات الاجتماعية المختلفة. واعتبارا أن اللغة ظاهرة اجتماعية، فالاحتكاك اللغوي حتمي بين اللغات، قصد التفاعل والإقناع، ومن أهم ظواهر الاحتكاك اللغوي تلك الظواهر اللسانية المتمثلة في الازدواجية اللغوية، الثنائية اللغوية، التعددية اللغوية، وسنعقب على هذه الظواهر لما لها من توضيح الوضع اللغوي في الجزائر وأثره في المنطوق الرسمي واليومي.

يتسم واقعنا اللغوي الجزائري بالتعدد اللغوي، فهو معقد ومركب لكونه يستخدم مجموعة من اللغات، وأهم اللغات الموجودة حاليا في الجزائر نذكر: اللغة العربية بشكلها الفصيح والعامي، الأمازيغية بتنوعاتها، اللغات الأجنبية خاصة اللغة الفرنسية، وهذه اللغات تتعايش مع بعضها، وهذا التباين في اللغات هو ما يطلق عليه التعددية اللغوية، إذ نعني بها: "أن يتكلم الشخص لغتين أو أكثر بإرادة منه، وبتمييز اللغات عن بعضها بعضا مدركا وواعيا كأن ينتقل من اللغة الأولى إلى اللغة الثانية دون أن ينقل بعض أجزاء اللغة الأولى إلى اللغة الثانية"⁹، فهي "الحالة التي يستعمل فيها مجتمع ما

أكثر من لغة مثل سويسرا التي تستعمل فيها اللغات الفرنسية والألمانية والإيطالية¹⁰ فهي قدرة الفرد على التكلم والتحكم في لغتين أو أكثر دون أن تختلط في ذهنه هذه الأوضاع اللغوية. وبعبارة أوضح التعددية اللغوية هي تبادل واستخدام ثلاث لغات أو أكثر من قبل الشخص نفسه أو من قبل جماعة لغوية معينة¹¹. والجدير بالذكر أن المتأمل في الحالة اللغوية في الوطن العربي يلاحظ حضور نوعين من التعددية¹²:

- **تعددية لسانية بسيطة:** تتركب من لغة أم (غير عربية)، وعربية عامة ولغة أجنبية أو أكثر وهي حالة الجزائري البربري الذي اكتسب إلى جانب لغته الأم، العامية الجزائرية والفرنسية من غير أن يتاح له أن يتعلم اللغة العربية الفصيحة.

- **تعددية لسانية مركبة:** تتركب من أصل هو لغة أم غير عربية ومن فرعين يتكون أولهما من ازدواجية عربية عامة، وعربية فصيحة، ويتكون ثانيهما من لغة أجنبية أو أكثر، ومثاله العراقي الكردي الذي نشأ على لغته الكردية واكتسب العامية العراقية منذ صغره، ثم تعلم العربية الفصيحة في المدرسة، وأضاف إلى كل ذلك اللغة الإنجليزية مثلا.

وعليه فإن متعدد اللغات كان نتيجة التداخل بين اللغات الموجودة في مجتمع ما، وذلك بسبب الاحتكاك المستمر بين هذه اللغات، ويظهر ذلك في خطابات المتكلمين، وأحسن مثال على ذلك الوضع اللغوي في المجتمع الجزائري، والذي يتسم بالتعدد والاحتكاك المستمر بين اللغات السائدة في المحيط واللغة الرسمية (اللغة العربية الفصحى) واللغة الفرنسية.

بفضل التعددية اللغوية يتحقق التواصل والتفاعل الحضاري واللغوي بين شعوب العالم لتحقيق التآلف والحوار بين الحضارات "فالجزائر على سبيل المثال، وعبر تاريخها العظيم، أنجبت علماء أجلاء وخبراء أذنا ضليعين في الفكر والمعارف والآداب وفي شؤون الطبيعة وحقائق الكائنات أولئك العلماء كانوا جزءا لا يتجزأ من واسطة العقد في الصلة بين أوروبا وتراث القدماء في نهضتها الفلسفية والعلمية والأدبية الحديثة"¹³. فالتعددية اللغوية تعمل على نقل الرموز الثقافية لشعب ما عن طريق التقاء الأفراد والشعوب، ولا يتم هذا النقل إلا باللغة ولا نفهم أيضا إلا بفهم لغة هذا الشعب. فهو يعد حلاً مؤقتاً للصراع القومي الحاد بين القوميات المختلفة، وبالتالي، هذا يؤدي إلى نجاح تسيير أمور الدول والسياسية اللغوية. كما نجد أيضا التعددية اللغوية تطرح ذلك الصراع القومي بين اللغات¹⁴:

- هيمنة لغة واحدة وإحلالها محلها عدة لغات.

- التراجع المستمر لعدة لغات وصولاً إلى حالات الانقراض.

- ظهور أخلاط لغوية تشكل لغة ليست كباقي اللغات.

- يؤدي التعدد اللغوي إلى "صعوبات للتواصل بين مجتمعات متجانسة لها لغاتها الخاصة، ولكنها تعاني صعوبات أثناء التواصل فيما بينها"¹⁵، كما تؤدي إلى خلق مشكلات سوء التكيف والتخلف المدرسي واللغوي، فالطفل الذي ينشأ في وسط متعدد اللغات قبل أن يكتسب لغته الأم كاملة، ستطرح له مشكلات عديدة، فيصبح غير قادر على التكيف مع هذه اللغات، وبالتالي الفشل المدرسي.

إنّ التعددية اللغوية الناتجة عن احتكاك بين الشعوب قد يؤدي إلى ظهور لغة غير اللغات السائدة، فمثلاً في الجزائر المتعددة اللغات نجد هناك اللغة الأمازيغية ولهجاتها، اللغة العربية (بمستوياتها)، اللغة الفرنسية، اللغة الإنجليزية، فالاحتكاك بين هذه اللغات ينتج ما يسمى بالهجين اللغوي. ولهذا يجب السعي إلى إيجاد حلول لغوية مناسبة توقف الصراع الذي يحصل بين اللغات. والذي يؤثر سلباً على اللغة المنطوقة بالدرجة الأولى.

ولا يخفى على أحد أن الواقع اللغوي في الجزائر يتسم بالتعقيد إذ تتعايش فيه عدة أزواج لغوية هي: (عربية فصحي، عربية عامية)، (أمازيغية، عربية عامية)، (أمازيغية، فرنسية)، (فرنسية، عربية فصحي)، (فرنسية، عربية عامية)، (عربية فصحي، أمازيغية). وقد ينتج عن ظاهرة تداخلات هذه اللغات الصراع اللغوي، وهذا يؤدي إلى تبعية لغة على حساب لغة أخرى. إذ لا توجد أية لغة إنسانية تجري على نمط واحد ولا على مستوى واحد، إنّما اللغة واحدة، ولها مستويات وأنواع، فنجد أن العربية الفصحى يحدث لها ما يحدث لجميع اللغات لها نمطها الفصيح، وتتفرع عنها لهجات مختلفة تتداخل فيما بينها، فكل لغة لها تأثير في اللغات الأخرى، وبطبيعة الحال فالحضارة الأقوى هي التي تفرض ثقافتها، وبالتالي لغتها أو على الأقل جزء من لغتها على اللغات، والثقافات الأخرى في كلّ العالم. فالتداخل اللغوي هو موضوع يتحدث عن تداخل كلّ لغة مع الأخرى، وقد أثرت اللغات الأجنبية كثيراً على اللغة العربية. وكذلك العكس ممّا جعلها من استخداماتنا اليومية، ليس هذا فقط بل حتّى في الوسط التربوي، نجد معظم التلاميذ -حسب تجريبي الخاصة- يفضلون التواصل بالقائلية أو اللهجة العامية على العربية الفصحى حتى في القسم، وهذا ينعكس سلباً على تعلم اللغة العربية، إضافة إلى ذلك فإن المنهج التربوي وكتب التدريس الجزائرية، لا يأخذ بعين الاعتبار المحيط اللغوي الذي يعيش فيه الطفل، فنجدهم يضعون مفردات وقواعد بعيدة عن نظامه اللغوي الذي اكتسبه في لغته الأم، مما يؤدي بالطفل إلى استعماله حين لا يفهم ما يوجد في الكتب، وهذا سبب التداخل بين لغة المحيط

ولغة التعليم. وقد يصل به الأمر إلى أن يقتصر من اللغة الفرنسية كلمات قد سمعها ولم يجد لها مفهوما في اللغة العربية الفصحى.

2- عوامل غير لسانية:

هناك عوامل أخرى ساهمت هي الأخرى في تراجع تداول اللغة الفصحى، مما خلق مشكلات مختلفة تنعكس بالأساس على استعمال اللغة العربية الفصحى بناطقيها، حيث يرى الباحث ظاهر ميلة أنها من أهم العوامل التي كانت سببا في تكوين الوضع الجديد، فأوجزها فيما يلي¹⁶:

2-1- التعليم والتكوين:

إنّ التعليم هو من أهم العوامل المحافظة على اللغة العربية ونشرها، خاصة إذا كان التعليم إجباريا وكانت نوعيته جيدة، لكن واقعنا الحالي حسب الباحث ظاهر ميلة يجده مقبولا على العموم في أهدافه وبرامجه، لأنه يكسب التلميذ اللغة العربية في شقيها المكتوب والمنطوق. ويظهر ذلك فيما أقرته نصوصه الرسمية من أهداف، وما تضمنته برامجه من موضوعات. إلا أن هناك نقائص واضحة في طرق التدريس وتطبيقاتها اليومية بسبب ضعف التأطير وقلة الإمكانيات، فحسب تصريحات الأستاذ عبد المجيد مزيان -رحمه الله- وزير الثقافة سابقا الذي قال: "إنّ المدرسة بأوضاعها الحالية لا تمكن المتعلم من الأداء الجيد، ولا التأثير في المحيط، بل هو فريسة للمحيط لا يكاد ينجو من تأثيره السيئ، فالمسألة لا تتحملها المدرسة وحدها، فالمجتمع له مسؤولية لا مراء فيها، ومن أكثر العيوب انتشارا في المدارس العناية بالحفظ لا بالتوظيف، وبالشكل لا بالمضمون، ولا يميز المدرسون بين اللغة وعلم تعليم اللغة، فالاستعمال اللغوي يتضمن لغة ومهارة في استعمالها، معرفة نظرية وممارسة، لذلك يتعين تعليم اللغة والنحو من خلال النصوص والشواهد، ولا تؤخذ المعلومات منفصلة مجزأة، لأن اللغة نظام معرفي ذو أنظمة فرعية متكاملة، فلا تكفي مجرد المعرفة بل لا بد من الممارسة التي تكسب وحدها المهارة، فتكون اللغة أداة لبناء الفكر، ورقة الوجدان، والذوق الجمالي، وتنمية القيم في النفوس"¹⁷، وأضاف قائلا: " والواقع العملي في المدارس يشير إلى البعد بين الجانب النظري في التوجهات التربوية في وثائق التعليم من جانب، والطرائق التي تمارس فعليا، وهذا ما جعل النتائج تتسم بالضعف الواضح، ولغة المدرس بعيدة عن النموذج الذي يقتدي به، إذ انه لا يفرق بين النحو الأكاديمي والنحو المدرسي الوظيفي، وأن أحكام النحو وقوانينه مجردة، يُعنى التدريس بحشو الأذهان بالقواعد الجامدة لا يتجاوز ذلك، ولا يقوم التقويم إلا على الاستظهار، ولذلك صرح وزير سابق للتربية بأن: منظومتنا التربوية تشهد نوعا من التقهقر، وأن واقع التعليم تعليم اللغة العربية وأدائها، ونصوصها، وفكرها، وثقافتها في المدرسة الجزائرية، وفي الجامعة واقع سيء للغاية واقع محزن وهذه هي

الحقيقة أننا ندرس لغتنا العربية وأدبها بطرق وأساليب عقيمة لا تؤدي إلى نتيجة...¹⁸، فتعليم أي لغة لا يكون ناجحاً، إن لم تثمن نتائجه، ولم يجد صدى في الحياة العملية، خارج المؤسسات التعليمية فقد أصبحت هذه المؤسسات تفرز أجيالاً لا تتقن لغتها، إذ أصبح استخدام اللغة العربية حبيسة جدران المؤسسات التعليمية بمختلف أطوارها، وهو الأمر الذي ساهم في تأخر تعليم العربية في البلدان العربية عامة، وفي الجزائر على وجه الخصوص، لوجود العامية واللغات الأجنبية التي تقوم ببعض الوظائف التبليغية الأساسية في المجتمع.

2-2- وسائل الإعلام:

يرى الباحث طاهر ميله أن الإعلام بمختلف أنواعه ووسائله، يساهم في نشر وترقية اللغة العربية، فهو لا يقل أهمية عن التعليم، فإذا كان دور الفصحى هو إحياء اللغة الفصحى، وإثراء معجمها وصقل أساليبها، فإن دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، كان أوضح في نشر اللغة المنطوقة، وخاصة ما يسمى اللغة الوسطى، من خلال نشرات الأخبار والحصص العلمية والثقافية المختلفة التي تبثها. إلا أن هناك صعوبات تعترض وسائل الإعلام، فالاعتراض الأول عدم التوفيق بين نوعية اللغة المستعملة وبين مقتضيات إبلاغ الرسالة الإعلامية التي تتطلب التبسيط حتى تصل هذه الرسالة إلى كل الطبقات الاجتماعية، وهذا واضح جلياً في لغة الإشهار، ويتمثل الاعتراض الثاني في المبالغة في الحصص المذاعة أو المتلفزة بالعامية. وهذا ما أدى إلى انتهاك حرمت قواعد اللغة العربية في أغلبها لتكون لغة بسيطة وسهلة تتداخل فيها لغة العامية من أجل إيصال الرسالة إلى الجمهور المستمع.

3-3- الإدارة:

يظهر تأثير الإدارة واضحاً في اللغة المكتوبة على وجه الخصوص، ولاسيما تلك التي لها امتداد واسع في المجتمع، كوزارتي الداخلية والبريد وبعض المؤسسات الكبيرة مثل شركتي الكهرباء والمياه، من خلال الوثائق الإدارية التي تستلمها من المواطنين. وقد يتعدى هذا التأثير إلى اللغة الوسطى في التعامل بها. فالإدارة هي "عصب الحياة في أي مجتمع، لكن بتسرب العنصر الفرنكوفيلي إلى دواليها وبسط نفوذه عليها، يساعده على ذلك الظرف التاريخي الحضاري، ويعزز موقفه العدائي للغة العربية جملة من العوامل الداعمة والداخلية منها والخارجية، فمن العوامل الداخلية المشجعة لموقف المفرنسين ما نلاحظه من تقدم علمي وحضاري يتمتع به المجتمع الأوربي والنفوذ السياسي الذي تمارسه الدولة الفرنسية على بلادنا بحكم استعمارها وتبعية لها في أكثر من ناحية من نواحي الحياة المختلفة... أما العوامل الداخلية فتتمثل في عدة مواقف رسمية كثيراً ما تظهر في شكل قرارات سياسية وإدارية. فمن

القرارات السياسية مثلا تجميد العمل بقانون تعميم استعمال اللغة العربية الذي وقعه الرئيس على كافي والذي لم يعرف طريقه إلى التطبيق إلى وقتنا هذا... ومنها أيضا ترقية العنصر المثقف باللغة الفرنسية إلى المناصب العليا ذات سلطة ونفوذ في أجهزة الدولة كالوزارات والإدارات المركزية وكبرى الهيئات التسييرية في مختلف القطاعات وتوليتهم بعض المهام الإدارية التنفيذية الحساسة في الجماعات المحلية كالولاية والدائرة بالرغم من تعريبها، وتمهيش العنصر المعرب مهما توفر على أعلى الشهادات العلمية...¹⁹، وقس على ذلك من العوامل التي جعلت من الإدارة وسيلة لهيمنة استخدام اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية التي أصبحت قاصرة وعاجزة عن منافسة اللغة الفرنسية حتى في بلادها وبين أهلها.

4-2- المحيط الخارجي:

يقصد ظاهر ميلة بمصطلح المحيط الخارجي كل اللافتات المكتوبة والمعلقة في الشارع والساحات العمومية وعلى المباني والجدران، التي لها تأثير في تعزيز المكتسبات اللغوية وفي إثرائها، حيث نجد العديد من لافتات فوق المحلات التجارية ولوحات إخبارية بلغات أجنبية فرنسية وإنجليزية، وعدم توحيد التسميات ومنها الأخطاء اللغوية ورداءة الخط، على الرغم من النداءات الكثيرة إلى تصحيحها، إلا أن كثير من الأسواق التجارية في عواصم ومدن عربية غزتها لافتات وتسميات وعلامات تجارية غير عربية ولا يوجد أدنى أثر لها وكأنها متواجدة في عواصم ومدن أوروبية. ولا يتوقف الأمر عند اللغة الأجنبية، بل حتى اللغة العامية قد اكتسحت كثير من الإعلانات التجارية، ويظهر ذلك في اللافتات، أو منشورة في الصحف والمجلات.

5-2- المسجد:

يرى ظاهر ميلة أن المسجد قد حافظ على اللغة العربية منذ نزول القرآن إلى يومنا هذا، ففيه اختبأت اللغة أثناء المحن في مثل عهد الاستعمار عندنا وفي عدد من البلدان العربية. ومنه انتشرت إلى غيره من الأماكن والبلدان، فالمسجد له تأثير عظيم في العربية المنطوقة، ولاسيما، إذا علمنا أن كل مسجد يؤومه عشرات الأشخاص كل يوم، وخاصة أيام الجمعة والأعياد الدينية، للاستماع إلى الخطب المسجدية التي لوحظ فيها التيسير والبساطة حتى يصل الخطاب إلى كل فئات المجتمع.

6-2- الحركة الأدبية والثقافية:

إن نشاط الحركة الأدبية والثقافية يثري محتوى اللغة ويقربها من مختلف الفئات الاجتماعية، فالأدباء لهم دور في تطوير لغة الأمة ونشرها على نطاق واسع، فقيمة اللغات تقاس بما

كتب ويكتب بها هؤلاء الأدباء والمثقفين من مضامين ومحتويات. لكن يبدو أن غالبيتهم في حالة خصام مع قواعد هذه اللغة نحوها وصرفها.

7-2- المجتمع المدني:

يقصد الباحث طاهر ميللة بالمجتمع المدني تلك الجمعيات التي تساهم في ترقية اللغة العربية وتطويرها من خلال تكثيف أنشطتها الثقافية والعلمية، وتساعد على خلق الانسجام الفكري بين المثقفين حول كل واحدة منها، وبالتالي التقريب بين اللهجات الذي من شأنه أن يؤدي إلى نشر اللغة المنطوقة المشتركة.

حقيقة أن هذه العوامل السالفة الذكر حالت دون تبوء العربية مكانتها في مجتمعنا الجزائري على وجه الخصوص، والمجتمع العربي بصفة عامة، فاللغة العربية تعرف تراجعا عاما في كل البلاد العربية، نتيجة ضعف أبنائها في كل الأوساط التي ينتمي إليها الفرد المتكلم باللغة العربية سواء في التعليم أم في الإعلام أم الإدارة، إلى غيره من العوامل، وصارت الثنائية اللغوية، والازدواجية اللغة والتعددية اللغوية بين اللغة العربية واللغة العامية، أو اللغة العربية باللغة الأجنبية من أبرز مشكلات اللغة العربية حاليا، فأمام كل هذه التحديات التي تواجهها اللغة العربية خاصة في شقها المنطوق، إلا أننا نعتزف بأننا قصرنا في حقها كهيئة فردية أو كهيئة جماعية، وبما أن اللغة كائن حيّ ينمو ويتطور بفعل الزمن، فمن واجبنا تجاه اللغة العربية أن نتعامل بها، وأن نحاول التواصل بها ونكثر استعمالها وتداولها بين أبناء المجتمع، لأن إحيائها لا يكون إلا بإحياء أهلها وإحياء أصولها، وأن نحرص على سلامتها لاسترجاع منزلتها²⁰. والتعامل بها في كل نشاطاتنا اليومية.

الخاتمة:

ختاما إن المنطوق يحتل موقعا مهما ويتصدر المرتبة الأولى في الدراسات اللسانية الحديثة، بمختلف تخصصاتها، كونه هو الأصل والمكتوب فرع عليه، ويعتمد أساسا على المقام، فهو يعتبر معيارا هاما يوجه المتكلم أثناء حديثه. لأن استعمال أيّة لغة في التخاطب اليومي مرتبط أشد الارتباط بموافقة الحال، ويجب لكلّ مقام مقال، الأمر الذي جعل من المنطوق بصفة شاملة يشتمل على مستويات ثلاثة أساسية ناتجة لاعتبارين أساسيين، وهما الاستعمال والتدرج في الفصاحة، لكن طبيعة المجتمع الجزائري لا يتمكن من المنطوق الفصيح بآتم المعنى، خاصة في وقتنا الراهن، فالمستوى المثالي لا وجود له في الواقع اللغوي وخاصة الواقع الجزائري، الذي تعتبر فيه اللغة العربية الفصحى اللغة الرسمية. واللغة العامية هي لغة التخاطب اليومي المجسدة أكثر للمنطوق الجزائري، وبما أن اللغة المنطوقة سريعة الانتقال والتحول اللغوي، وفان هذه الظواهر الطبيعية موجودة في اللغة العربية

أنتجت لغة معاصرة مزيجة بين اللغة الفصحى والعامية، أو ما يطلق عليها باللغة الوسطى التي هي شكل من أشكال اللغة اليوم، فهذا الانتقال كان سببه التلقائية والسهولة، وعدم التكلف، لأنّ المتكلم الجزائري لا يقتصر أثناء حديثه اليومي على لغة واحدة. بل يسعى إلى توظيف لغات أخرى، بفعل الاحتكاك الهجين بين هذه اللغات والتعليم ووسائل الإعلام، والإدارة، والمحيط الخارجي، والمسجد، والحركة الثقافية والأدبية، والمجتمع المدني، التي لها تأثير سلبي خاصة على مستعملي اللغة العربية الفصحى، ساهمت هي الأخرى في تكوين هذا الوضع الجديد الذي تعيشه اللغة العربية، والتي تعرف تراجعاً عاماً في كل البلاد العربية، نتيجة ضعف أبنائها، ومن هنا فمن واجبنا تجاه اللغة العربية كضمير عربي غيور على لغته وهويته أن نتعامل بها، وأن نكثر استعمالها وتداولها وأن نحرص على سلامتها، لإحيائها واسترجاع منزلتها.

أهم التوصيات:

- 1- ضرورة توعية كل ناطق باللسان العربي في مجتمعاتنا بأهمية الممارسة المستمرة للغة العربية الفصيحة، فهي مسؤولية الجميع ابتداء من الأسرة انتقالاً إلى المؤسسات التربوية والثقافية والإعلامية.
- 2- الدور الفعّال لوسائل الإعلام خاصة المرئية والمسموعة في ترقية اللغة العربية الفصحى، ويكون ذلك من خلال انتقاء مذيعين أكفاء لغويًا -نطقًا وكتابة- مع اختيار أهم البرامج التي تجعل من اللغة العربية الفصيحة الحياة اليومية لها.
- 3- ضرورة إجراء أبحاث لغوية تطبيقية ذات صلة بالخطاب المنطوق الفصيح، حتى تأخذ اللغة العربية الفصحى مكانتها في الاستعمال اليومي.

- 1- الحاج صالح عبد الرحمان، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص 38.
- 2- الحاج صالح عبد الرحمان، المرجع نفسه، ص 30.
- 3- عبد الفتاح عفيفي، علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1415هـ، 1995م، ص 91.
- 4- كريمة أوشيش، التداخل اللغوي في اللغة العربية، تدخل العامية في الفصحى لدى تلاميذ الطور الثالث من التعليم الأساسي، رسالة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ، الجزائر، فيفري 2002م، ص 58.
- 5- محمد أحمد العميرة، بحث في اللغة والتربية، دار وائل للنشر، عمان، ط1، 2002م، ص 55.
- 6- كريمة أوشيش، التداخل اللغوية في اللغة العربية، المرجع نفسه، ص 21.
- 7- هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، الجامعة المستنصرية للطباعة والنشر، بغداد، ط1، 1408هـ، 1988م، ص 166.
- 8- السيد علي شتا، علم الاجتماع اللغوي، مركز الإسكندرية للكتاب، القاهرة، دط، 1998م، ص 29.
- 9- Khaoula Taleb Ibrahim, **les algériens et leur (s) langue (s)**, éléments pour vue approche sociolinguistique de la société algérienne, édition El Hikma, Alger, 1995, P :25.
- 10- Christian Baylon, Sociolinguistique, Société, Langue et discours, Paris, nathan, 2eme édition, 1996, p264.
- 11- السيد علي شتا، علم الاجتماع اللغوي، المرجع نفسه، ص 80.
- 12- المعموري محمد وآخرون، تأثير تعليم اللغة العربية، معهد بورقبية للغات الحية، تونس دط، 1983م، ص 14.
- 13- بن عيسى التيجيني، التعددية اللغوية وسيلة الاتصال والثقافة، محاضرات الندوة الدولية، تلمسان، الجزائر، 2002، ص 52.
- 14- رشيد فلكاوي، أثر التداخلات اللغوية في الأداء الكلامي عند الطالب الجامعي، رسالة ماجستير في تعليمية اللغات وتحليل الخطاب، جامعة بجاية، 2006، ص 58.
- 15- لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ترجمته محمد يحياتن، دار القبة للنشر، الجزائر دط، 2006م، ص 43.

- 16- طاهر ميله، عوامل تقريب العامية من الفصحى (نظرة لغوية اجتماعية)، فعاليات المائدة المستديرة التي أقيمت في 2002/04/24 بمقر مجلس الأعلى للغة العربية، من وقائع حوار الأفكار، العلاقة بين الفصحى والعامية، سلسلة منشورات الجيب، الجزائر، أبريل 2005، ص ص (من 24 إلى 30).
- 17- عابد بوهادي، تحديات اللغة العربية في المجتمع الجزائري، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2014م، العدد 31، ص ص 147-148.
- 18- عابد بوهادي، تحديات اللغة العربية في المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص 106.
- 19- عابد بوهادي، تحديات اللغة العربية في المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص ص 148-149.
- 20- عابد بوهادي، تحديات اللغة العربية في المجتمع الجزائري، المرجع السابق، ص 162.